

ولكني أقول: إن تلك المتاعب تربو
على كل ما قاساه المسلمون من جميع
الدنيا من يوم أن نشأ الاسلام
إلى اليوم، فن عاصفة إلى زوينة
إلى إعصار، حتى إذا ما استقرت
الحال وسارت السفينة في أمن
واطمئنان عادت إلى ما كانت عليه

حاجي بابا في الحكمة

تأليف جيمز موير
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل الحادي والخمسون

أتباع السفير يعودون

استبقى السفير محبوباً لحراسة الشريكة وأعاد
سميداً معنا إلى طهران . وقد ودعنا لوندرا وولينا
وجوهنا شطر طهران ، وكان طريقنا في العودة غير
شائن مثل طريقنا في المجيء ، وقد تبادلنا مع السفير
الكلمات الطيبة التي تقال في مثل هذا المقام، وصفح
كل منا عن الآخر . وعهد بنا إلى ربان الباخرة
فأصبحنا في وصايته وأصبح واجبه أن يسلطنا إلى
مندوب فارسي في الآستانة سواء أكننا أحياء أم
جثثاً هامدة

وكان هذا الربان رجلاً ملفوح الوجه بالهواجر
كأي رجل تركاني محارب، ووجدناه غليظاً متجهماً
وكان يقدم لنا كل يوم طعاماً من اللحم والطيور ،
ولكنه لم يقدم لنا شيئاً من الأرز . ومن حسن
الحظ أن المقدار الذي جثنا به من فارس لم ينقص
كثيراً فأخذنا منه جانباً وتركنا للسفير سائر

وقبل سفر الباخرة رأينا عشرين أو ثلاثين
رجلاً في يد كل منهم ورقة وقلم من الرصاص ،
وكلهم يكتبون وصف ما يشاهدونه . وقيل لنا إن
هذه مهمتهم اليومية لأنهم مخبرون للصحف
وسأجاوز عما رأيناه من المتاعب في السفينة .

فتأرجح بنا بين جبال من الأمواج
وأخيراً جاءت الساعة السعيدة التي ظهرت لنا
فيها قباب المساجد ومآذنها . وكان النظر بديماً
لحمدنا الله وصلينا صلاة الشكر . وقد تجسم في
نفوسنا شعور الفرح فهمنا بالنزول إلى الشاطئ
والخلاص من السجن والسجان . ولما قابلنا مندوب
فارس ألقينا عليه ألف سؤال وسؤال عن فارس وعن
أصدقائنا وأقاربنا فيها . وكانت شكوانا مرة من ربان
السفينة . وقص عليه محمد بك كل شيء مما رآه مما
يخالف الشرع الشريف في بلاد الفرنجستان . ثم
ذهبنا إلى بيت السفير الانكليزي فسلطنا إليه ما معنا
من الرسائل المرسلة إليه . وقد وجدنا الانكليزي
الآستانة لا يستقبلوننا بمثل الحفاوة التي يستقبلنا بها
الانكليزي في بلادهم ولا بمثل الدهشة التي كانوا
يبدونها نحونا وسبب ذلك واضح وهو أننا كثير
الشبه بالأتراك وقد ألفونا

ثم استأنفنا السير إلى بلادنا

الفصل الثاني والخمسون

هابي بابا في طهران

استأجرنا البغال وأعدنا معدات السفر، وفي
مدى أيام قلائل كنا على مقربة من حدودنا وكانت
قلوبنا تحفق سروراً، ولم يحدث في الطريق ما يستحق

الذكر . وكنا نفكر في العادات التي اعتدناها
بالتقرب وفي عادات بلادنا القديمة فنجد السي
والحسن في كليهما

وفي أثناء الطريق زرنا الباشا في أرضروم
واتضح لنا أنه لم ينسنا ولم ينس السفير . وفي تبريز
تمسحنا بأعتاب الحاكم وهو من أسراء الأسرة
المالكة ، وقد سألنا أسئلة دلتنا على أنه عاين من قبل
كل الذي عايناه في أثناء الرحلة . ولا يفوتني أن
أذكر أننا قابلنا قبيلة من الأكراد على أثر خروجنا
من أرضروم فأصروا على أخذ أمتعتنا عنوة ولكن
فرقة من جنود الباشا التركي كانت تتولى حراستنا
فقاتلتهم وأجأتهم إلى الفرار

وأخيراً وصلنا إلى طهران فقابلنا أصدقاءنا
الذين كانوا في انتظارنا على أحر من الجمر ، وقد
عزمت على أن أسلك خطة من الترفع تتفق مع
المكانة التي استقدها ، ومع المعلومات التي تلقيتها
في رحلتي الأخيرة

ذهبت تová إلى بيت رئيس الوزارة فوجدته
قد ذهب إلى بيت الشاه فتبعته إليه وسلمته
ما معي من الخطابات ووقفت منتظراً أوامره . وقد
تركني واقفاً أمامه عدة دقائق قبل أن يأذن لي
بالجلوس . ووجدت كثيراً من أصحابي في انتظاري
فحيوني وهنأوني وسألوني عن الحالة في بلاد الانكليز
فقال أحدهم إن النساء هناك لا ينجلن . وقال آخر
إنهم يعبدون الصليب . مما يدل على الجهل بأحوالهم
كما أن الانكليز يجهلون أحوالنا

وفي هذه الأثناء أبلغ رئيس الوزارة الشاه بخبر
قدومي فنوديت ودخلت باحترام وألقيت بين يدي
جلالته خطبة قصيرة وحرصت بقدر الامكان على
أن أجمع بين موقف الوزير الانكليزي أمام ملكه

وبين موقف الوزير الفارسي أمام الشاه
قال لي الشاه متلفحاً رداً على خطبتي : « سررت
بمودتك يا حاجي بابا »

فأحيت رأسي على طريقة الوزراء الانكليز
فقال : « مرحباً بك »
فأعدت إحناء رأسي

قال : « هل أتيت بهدايا من شاه الفرنجستان ؟ »
فقلت : « نفسي فداك يا جلالة الشاه لقد أتيت بهدايا
قدمتها لأمين القصر » ثم أخرجت من جيبى عشرين
جنيهاً من النقود الانكليزية ووضعتها على عتبة
العرش وقلت : « وهذا الذهب أضمه متفائلاً على
أعتاب عرشكم »

فابتسم الشاه وقال لرئيس الوزارة الذي كان
واقفاً بالتقرب منه : « إن حاجي بابا خادم مطيع وقديص
وجهي في بلاد الفرنجستان »

قال رئيس الوزارة : « نعم نعم يا جلالة الشاه
وحيث يوجد أتباع جلالتك نبض وجوه الفارسيين »
ثم قال لي الشاه : « صف لنا بلاد الفرنجستان »
فقلت : « هي بلاد واسعة تختلف في كل أحوالها
عن بلادنا »

قال : « وازن بينها وبين بلادنا » فقلت :
« لا وجه للموازنة يا صاحب الجلالة فهي بالقياس
إلى إيران مثلي مع ضمني بالقياس إلى جلالتم »

فالتفت الشاه إلى رئيس وزارته وقال : « لكل
بلاد محاسنها ولكن لا توجد في الواقع بلاد مثل
إيران » ثم استشهد ببيت من شعر حافظ الشيرازي
في مدح فارس . فقال رئيس الوزارة : « أين شعر
حافظ مما قلتموه جلالتم من الشعر . وهل في
العالم كله شاعر مثل مولانا فتاح على شاه ؟ »

مسحورة يستطيع الانسان بها أن يرى الجيش عن بعد عشرات الفراسخ دون أن يراه الجيش الآخر . وهي تظهر الشيء البعيد جداً كأنه على بعد أمتار قليلة . ولقد رأيت في بلاد الفرنجستان أشياء معدومة النظير »

قال : « تكلم يا بني . ولكن إياك أن تكذب بحضرة الشاه . وإذا كذبت فلن تجد رحمة في نفسي » قلت : « نفسي فداك يا صاحب الجلالة . لقد رأيت سفناً كأن الواحدة منها مدينة وهي تمشي في الزوابع والأعاصير دون أن تتأبل »

قال الشاه : « لقد حذرتك من الكذب يا حاجي بابا »

قلت : « نفسي فداك ما قلت إلا ما رأيت » فتألف الشاه وسألني : « أي شراع يجبر هذه السفينة ؟ وما طوله ؟ وما عرضه ؟ »

قلت : « إنها تسير ببخار الفحم » ثم أخذت أشرح معلوماتي في هذا الموضوع وهو ينظر إلي نظرة استغراب كأنني أقص عليه قصة من قصص السحرة . ثم أعاد سؤاله عن زجاجة التجسس . وسألني عما رأيت غير ذلك . قلت : « إن أغرب ما رأيته هو النور الذي ينبعث من منارة السفن في أثناء الليل ، فانه يرى عن بعد تهتدى به السفن ويتحرك ويدور ظاهراً بهيئة جسم عمودي ولا يتكاف إلا أقل النفقات ويؤدي أكبر النفع » . فدهش الشاه وأخذ يسألني فشرحت له معلوماتي عن المنارات أيضاً وقال : « لقد كنت أعرف أن الانكليز يصنعون الأقمشة الجيدة ولكن لم يخطر ببالهم أنهم يصنعون النور الغائن » . ثم قال : إنهم من أشهر التجار ولا يبعد أن يكونوا قد صنعوا هذا

فابتسم الشاه وقال : « ليس في الانصاف غشاضة فان الشيرازي شاعر معدوم النظير » ثم التفت إلي وقال : « هل في بلاد الفرنجستان شعراء ؟ قلت : « نفسي فداك يا جلالة الشاه ليس عندهم أمثال السعدي والشيرازي ولكن عندهم شعراء على كل حال » فقال الشاه : « تعني أنه ليس عندهم بلابل ؟ » قلت : « نعم ليس عندهم بلابل يا صاحب الجلالة ولكن عندهم كلاباً . والحق أن إنشادهم بالقياس إلى إنشادنا كالعمواء بالقياس إلى التفريد »

فسر الشاه من هذا القول وضحك وقال : « إذن فعندهم شعراء ، فماذا عندهم غير ذلك ؟ هل نساؤهم جيالات ؟ »

قلت : « نعم يا جلالة الشاه ، وأي جمال ! عندنا اليهوديات والروسيات والأرمنيات ومن كل جنس ودين وليس بين جوارى الشاه جارية انكليزية وفي الانكليزيات الجديدة بأن تكون في خدمة جلاتك » فقال الوزير : « ولماذا لم تأت بجارية منهن هدية للشاه ؟ »

قلت : « تلك غلطة مني فلو أمر الشاه سفيره بأن يعود بجارية انكليزية لقرت بها عيناه » فقال الشاه : « لم تخطئ في القول يا حاجي بابا » نحن نريد جارية انكليزية لتيتم نظام حرمنا الشاهاني » ثم التفت إلي رئيس الوزارة وقال : « وماذا تذكره لنسأل عنه حاجي بابا ؟ » فقال رئيس الوزارة : « زجاجة التجسس يا مولاى ! »

قال الشاه : « أخبرني يا حاجي بابا هل رأيت عندهم زجاجة التجسس ؟ »

قلت : « نعم يا صاحب الجلالة . عندهم شيء غريب مستطيل اسطوانى الشكل وفي نهايته زجاجة

وما ذلك إلا لأن السفير فيروز خان قريبه وهو يرضى
على أن أنال مثل مرتبته وأنا مرؤوسه

وعشت مسروراً أنفق من المال الذي خبأته
قبل سفرى عند قبر « زينب » ولم يحدث ما يسوءنى
ولم ينقطع أملى فى الحصول على الرتبة . وكنت أنضى
أوقاى فى التحدث مع أصحابى عن المعجائب التى
رأيتها فى الفرنجستان وفى ترجمة بعض الكتب
الانكليزية

وكنت كثيراً ما أتشرف بزيارة الشاه وأسمعه
من كلامى ما يقربنى من أملى فى الحصول على اللقب
والآن أيها القارى الكريم أتشرف بأن أقبل
قدميك وأطلب الحماية فى جيب قفطانك وأرجو
ألا يقصر الله ظلالك حاجى بابا خان

عبد اللطيف الشار

« تحت »

النور ليفتنوا به أتباعهم الفرسيس الذى يعمدون
النار فى الهند

قلت : « هو ذلك يا جلالة الشاه » واقترحت
على جلالتى أن يأمر السفير بأن يرسل إليه صندوقاً
من المعجائب الانكليزية
فسألنى : « هل صحيح ما يقولونه عن شدة
العواصف فى انكلترا ؟ »

فخطر لى خاطر بديع وقلت : « نعم يا جلالة
الشاه إن العواصف هناك لا يدركها العقل ولقد
هبت عاصفة وأنا فى الطريق وكنت فاتحاً فى
فطوحت الرياح بثلاثة من أسناني وألقمتها فى جوفى »
ثم فتحت فى وأرسته مكان أسنان ثلاث مكسورة
من رجمة جواد . وأكدت له أن العاصفة هى التى
أسقطتها فاستغرب الشاه هول تلك العواصف وحمد
الله على أنه لم يذهب إلى الفرنجستان وإلا لثرت
الريح لحيته من وجهه

ثم أمر لى الشاه بخلمة سنينة وصرفنى من
حضرتة مسروراً . فذهبت وأنا أدعوه ونفسى طامحة
إلى الحصول على لقب خان ، فأذعت بين إخوانى أنى
سأحصل على هذا اللقب . وفى الحق أن كلمة « حاجى
بابا خان » ذات نفمة موافقة وكجرس بديع فلماذا
لا يكون اسمى كذلك ؟

وقد تسمع الناس أنه أنعم على بهذا اللقب ،
وصار الشاه نفسه لا يقول لى « ميرزا حاجى بابا » بل يقول
« حاجى بابا خان » ولا أعرف هل كان ذلك من أحوال
جلالتى أم جداً . ولكنه على كل حال فال حسن
بيد أن رئيس الوزارة كان يعصم أذنيه عن
أقوال الناس حول هذا اللقب وإضافته إلى اسمى ،

المجموعة الاولى

للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصرلوسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد